رأي القدس

# قراءة متأنية في شريط الظواهري

■ ينطوي الشريط المتلفز الذي اصدره الدكتور ايمن الظواهري الرجل الثاني في تنظيم القاعدة على الكثير من المعاني الجديدة التي تشكل انعطافة مهمة في ايديولوجية هذا التنظيم ونظرته الى الاخرين، خاصة لدى الطائفة الشيعية.

ويمكن تلخيص هذه المعاني في النقاط الرئيسية التالية:

● اولاً: حديث الدكتور الظواهري عن تشكيل تحالف للمستضعفين في مواجهة الظلم والعدوان الواقعين عليهما من قبل الامريكيين والاسرائيليين هو دعوة لمصالحة بين المذاهب الاسلامية، او تجميد الخلافات الفكرية فيما بينها على الاقل، والانصهار في جبهة واحدة.

● ثانياً: يفرق الدكتور الظواهري بشكل واضح بين الاشقاء الشيعة الذين يقاومون العدوان الاسرائيلي في لبنان بصلابة، وبين نظرائهم الذين يتحالفون مع الاحتلال الامريكي ومشروعه في العراق. ويعتبر الاوائل وطنيين مجاهدين، والآخرين خونة.

● ثالثاً: يحاول الظواهري في هذا الشريط الابتعاد عن نهج ابو مصعب الزرقاوي في العراق الذي استهدف قتل الاشقاء الشيعة واعلان الحرب عليهم انطلاقاً من الخلاف المذهبي، الامر الذي يؤكد ان الرسالة التي بعثها الى الزرقاوي ونهاه فيها عن فتح معركة مع الشيعة كانت صحيحة.

● رابعاً: يدرك الدكتور الظواهري بان الحرب في لبنان ستطول، لان اسرائيل لن تنجح بسهولة في انهاء المقاومة الاسلامية، ولذلك يتوقع ان يتحول لبنان الى «دولة فاشلة» اي بدون حكومة مركزية قوية، الامر الذي سيهيئ المجال لتنظيم القاعدة للانتقال اليها، وفتح جبهة ضد اسرائيل انطلاقاً منها، وهذا ما يفسر قوله ان التنظيم لن يقف ساكتاً امام ما يجري من قتل للابرياء في غزة ولبنان.

● خامساً: يربط الدكتور الظواهري بين ما يجري في العراق وافغانستان وبين ما يجري في لبنان وفلسطين، ويرى ان هناك تحالفاً «صليبياً صهيونياً» يستهدف الامة يجب ان يهب الجميع لمواجهته.

● سادساً: لعل هذا الشريط يسجل اول استجابة من قبل تنظيم القاعدة للدعوة التي اطلقها السيد حسن نصر الله، وناشد فيها المسلمين الالتفاف حول المقاومة الاسلامية في لبنان وفلسطين التي تقاتل نيابة عن الامة بأسرها، وحفاظاً على كرامتها.

● سابعاً: توقيت اصدار الشريط، ونوعيته التقنية العالية، وصياغة عباراته، كلها تؤكد ان الدكتور الظواهري في مكان آمن يؤهله لمتابعة التطورات في المنطقة والعالم عن كثب، وعلى عكس اشرطة زعيم التظيم الشيخ أسامة بن لادن، التي انحصرت في الفترة الاخيرة في الاشرطة الصوتية فقط، وكانت على درجة سيئة من الناحية التقنية.

● ثامناً: يأتي هذا الشريط في اطار الحرب النفسية التي يشنها تنظيم القاعدة ضد الولايات المتحدة وحلفائها العرب على وجه التحديد، ومن حيث التأكيد على ان التنظيم ما زال فاعلاً وموجوداً ويزداد قوة، ويقترب اكثر فأكثر من القضية العربية المركزية وهي قضية فلسطين.

المنطقة العربية تشهد حالياً انحسار موجة الاعتدال، وضعف نفوذ الانظمة العربية الرسمية الحليفة لواشنطن في صياغة المنطقة واحداثها وايديولوجيتها، وصعود التطرف وتنظيماته مجدداً، متمثلاً في المقاومة العراقية والفلسطينية (حماس والجهاد وكتائب شهداء الاقصى)، واللبنانية (حزب الله)»، ويحاول تنظيم «القاعدة» الذي نجح في ايجاد حضور قوي له في العراق بعد افغانستان، ان يكرر الشيء نفسه في لبنان جنباً الى جنب مع حزب الله، وربما بالتنسيق معه اذا وجد قبولاً، وهذا يعني تكرار المشهدين الحاليين في افغانستان والعراق على الاراضي اللبنانية بشكل او بآخر.

# «الشرق الأوسط الجديد»: كيف يطرأ جديد على المفهوم القديم؟

صبحي حديدي *

■ حين شاء الرئيس الامريكي جورج بوش الانحناء أمام الإلهام الربّاني الذي راوده وأراده (وعلى ذمّته: كلّفه) أن يجتثّ شرور الشرق الأوسط من جذورها، وأن يرسل سعادة الحرّية وقوت الديمقراطية إلى شعوب المنطقة البائسة الجائعة، فإنّ أوّل خطوة خطاها بوش على درب تلك الحملة الصليبية الخيّرة كانت قراءة كتاب السياسي الإسرائيلي والمنشقّ السوفييتي السابق ناتان شارانسكي «حجّة الديمقراطية: جبروت الحرّية في التغلّب على الطغيان والإرهاب». ولعلّ بوش لم يجد في الأمر أية مفارقة أخلاقية، من نوع نصح المقهور باعتماد فلسفة القاهر، بل رأى العكس تماماً وعلى مبدأ: داوها بالتي كانت هي الداء!

واليوم حين ترطن وزيرة الخارجية الأمريكية عن «شرق أوسط جديد»، وفي الآن ذاته لا تكتفي بصمّ آذان الإدارة عن البربرية الإسرائيلية في سائر لبنان، بل تشجّع على المضيّ أبعد في الهمجية وأسرع في التدمير، هل يدهشنا أنّ مشروعها الجديد هذا ليس سوى طبعة متأخرة ـ لكي لا نقول: نسخة الكربون ـ من ذلك الشرق الأوسط الجديد الذي حلم به شمعون بيريس: رؤيوي السلام، وحامل ثلث نوبل السلام، وجزّار قانا، ومجرم حرب عملية «أعناب الغضب»... هنا، في جنوب لبنان ذاته؟ الطريف، إلى هذا، أنّ المرء لا يكاد يأتي بجديد حين يستعيد الدائرة المغلقة التي تصنعها جدلية رسوخ القديم، وربما العتيق المتآكل المستهلَك، في كلّ تفكير أمريكي جديد حول شرق أوسط جديد!

ومن جانب آخر، ما الفارق بين هذا الشرق الأوسط الجديد، المرتجى، وذاك الذي كان حجر الأساس في ما أسماه الرئيس الأمريكي الاسبق جورج بوش الأب «النظام الدولي الجديد»، عشية عمليات «درع الصحراء» و«عاصفة الصحراء» ومؤتمر مدريد حول السلام العربي ـ الإسرائيلي؟ وفي صياغة أخرى: هل طُوي ذلك النظام؟ وإذا صحّ أنه طوي، فهل لأنّ النظام استنفد أغراضه جمعاء، أم لأنه لم يستنفد منها قسط الحدّ الأدنى، فكان محتماً أن يتآكل ويهترىء ويتفكك ذاتياً؟ وبالطبع، لا مناص من الصياغة الثالثة للسؤال ذاته: لماذا يتوجّب أن تنجح وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس، بالتكافل والتضامن مع فريق إدارة بوش وجمهرة المحافظين الجدد مجتمعين، في تحقيق نظام شرق أوسطي جديد فشل في تحقيقه وزراء خارجية أمريكيون سابقون من أمثال جيمس بيكر، وارن كريستوفر، مادلين ألبرايت، وكولن باول؟

ليست هذه الأسئلة ميكانيكية، أو حتى مدرسية ومن قبيل تحصيل الحاصل، إلا عند الذين يعتقدون أنّ السياسات الأمريكية الكبرى، بصدد الشرق الأوسط تحديداً، يمكن أن تشهد طفرات حاسمة بمثابة منعطفات جوهرية، أو تبدلات تكوينية بمثابة انقلابات رأساً على عقب، أو ما أشبه وكان منها مدانياً. وعلى سبيل المثال، هؤلاء أولّ مَن ستصيبهم الصدمة ويأخذهم الروع إذا اكتشفوا أنّ اقتداء الرئيس بوش بديمقراطية شارانسكي، فضلاً عن جميع استلهاماته «الربانية» حول الخير والشرّ، تُطوى اليوم (حتى قبل أن تتجسد بأيّ معنى واقعي فعلي عملي) بلسان الوزيرة رايس، وطيّ تبشيرها بشرق أوسط جديد. وهؤلاء، في المقام الثاني، أولّ خائبي الرجاء من ذلك اللغط الأمريكي الذي تعالى عشية غزو أفغانستان والإعداد لغزو العراق، حين أشاع البيت الأبيض أنه بصدد الانتقال من سياسة عقد صفقات التسوية مع أنظمة الاستبداد بذريعة ترجيح مبدأ الاستقرار حتى على حساب الشعوب، إلى سياسة الانفتاح على الشعوب البائسة ذاتها وتزويدها بمختلف الصادرات الديمقراطية، شاءت الشعوب استهلاك تلك الصادرات أم أبت!

ولأنّ إيران الراهنة تبدو عاملاً أساسياً، إذا لم تكن العامل الرئيسي والأكبر، في هذا التخطيط الأمريكي لاستئناف شرق أوسط قديم، تحت مسمّى «الجديد» القديم بدوره، فإنّ ما يشهده لبنان اليوم من بربرية إسرائيلية ليس منقطع الصلة عن تلك الحرب الإيرانية ـ الأمريكية التي تتكدس عوامل اندلاعها يوماً بعد يوم. وبهذا المعنى يفهم المرء سخط بعض الساسة الإسرائيليين لأنّ الدولة العبرية تبدو وكأنها، في قتال «حزب الله»، إنما تقاتل بالنيابة عن الولايات المتحدة، أو تخوض بالتفويض حرب البيت الأبيض ضدّ آيات الله الإيرانيين... في العراق! ولكن لأنّ إيران ليست جمعية خيرية لإغاثة المستضعفين في الأرض، وتسليحها النوعيّ العالي لـ«حزب الله»، كما يكتشف البعض اليوم ليس دون انبهار وعجب، أشبه بتسليحها لجيوشها الوطنية دون كبير نقصان، فإنّ آيات الله يسعون بدورهم إلى أن تكون معركة «حزب الله» ضدّ الاحتلال الإسرائيلي هي في الآن ذاته امتداد لمعاركهم ضدّ واشنطن. وتلك، كما هو معروف، ليست معركة تخصيب اليورانيوم وحدها، ولا معارك تصدير الديمقراطية إلى إيران فحسب، بل معارك قوس الإسلام العريض كما تسعى طهران إلى إعادة رسمه بما يكفل تحويله إلى ساحة استراتيجيات متصارعة.

المثير، لأننا نظلّ في الحقل التاريخي والدلالي لحكاية الجديد/ القديم هذه، أنّ الشطر الإيراني من تفاصيل مفهوم رايس عن «الشرق الأوسط الجديد» قد يكون محض طبعة جديدة ـ وإنْ مبتذلة تماماً ـ من النظرية العتيقة الشهيرة حول الإحتواء المزدوج، الآن إذ يبدو عراق ما بعد صدّام حسين وكأنه جدير بطراز من الاحتواء لا يقلّ ردعاً عن عراق صدّام حسين، أو أشدّ ربما! و نتذكّر على الفور أن حصاد مفهوم الإحتواء المزدوج ظلّ يعتمد على أكثر من حرث وبذر واستنبات، ولكن الغلال ذاتها بقيت أسيرة المجهول، أو مستنقعات الوحول. لكنّ المفهوم كان جذاباً على الدوام، ولهذا تراخى وتمطى واتسع حتى اختلط في نطاقه الحابل بالنابل، واضطرّ صاحبه الاصلي (مارتن إنديك) إلى مراجعته مراراً، وإلى تسليحه بأسنان قاطعة حولّها بعض المحافظين الجدد إلى حملات صليبية مستدامة.

وحين شاءت إدارة كلينتون فتح «حوار» مع طهران، صيف 1998 وبعد محاق مفهوم «الردع المزدوج» على يد أولبرايت وأنتوني ليك مستشار الأمن القومي الأسبق، كان البيت الأبيض يسعى ضمناً إلى اختراق قوس الإسلام الافتراضي ذاك، من خلال نزوع الرئيس الإيراني الإصلاحي محمد خاتمي إلى الحوار. آنذاك أطلقت أولبرايت تلك العبارة الشهيرة: «واضح أن عدّين من انعدام الثقة لا يمكن محوهما في ليلة وضحاها. الهوّة بيننا ما تزال واسعة. ولكن الوقت قد حان لاختبار إمكانيات جسر الهوّة». و«بيننا» هذه كانت تعني الإدارة الأمريكية والحكومة الإيرانية، وتعني في المدلول اللغوي المباشر إمكانية قيام حوار بين فريقين يتحاوران بوصفهما اثنين على وجه الدقة، وليس بوصف واحدهما دولة عظمى قيّمة على قيَم الإنسانية وشرطية حارسة لأمنها واستقرارها، وثانيهما دولة «رجيمة» مشاغبة ضد تلك القِيَم وراعية للإرهاب ومصدّرة للثورة.

ولقد توفرت إسهامات صامتة، أو مكتومة، من مستشار الأمن القومي آنذاك ساندي بيرغر، الذي امتدح ميل الرئيس الإيراني إلى الاعتدال والحوار، وذمّ ميل خصومه إلى التشدّد والخصام. كما توفرت إسهامات أخرى صاخبة صائتة من بروس ريدل المسؤول آنذاك عن ملفّ إيران في مجلس الأمن القومي، الذي كان يصبّ دلواً ساخناً تارة حين يذكّر إيران بمواقفها من الجماعات الاسلامية والسلام العربي ـ الاسرائيلي وبرنامج بناء الأسلحة الصاروخية، ودلواً بارداً طوراً حين يقول: ولكن إيران هي إيران أيها السادة، بموقعها ودورها وماضيها وحاضرها، بتطوراتها الحبلى! ومع ذلك فإنّ الحوار لم يسفر عن تجسيد أيّ من معنييّ مفردة «بيننا» تلك، وانتهى إلى فشل ذريع لعلّ أبرز نتائجه كانت إضعاف خاتمي وفريقه، وتمهيد الأرض لمجيء أمثال أحمدي نجاد.

كيف يمكن لشرق أوسط جديد، يولد بالضرورة من رحم القديم كما للمرء أن ينتظر منطقياً، أن يستوعب إيران الراهنة، وبأيّ الوسائل: الحرب، أم السلام؟ التسويات، حتى على حساب عذابات الآخرين وفي باحاتهم، أم المجابهة؟ في قُم وطهران، أم في كربلاء وبنت جبيل؟ هذه، على الأرجح، ليست أسئلة كوندوليزا رايس وحدها، بل هي كذلك أسئلة أصحاب القرار الأعلى في طهران (مرشد الثورة الإسلامية آية الله علي خامنئي أولاً، ولكن ليس أحمدي نجاد ثانياً بالضرورة!)، وأسئلة بعض الحكام العرب الذين ستصيبهم مكرمة ـ أو شظية... حسب واقع الحال! ـ إذا ما انخرطوا في تصنيع هكذا شرق أوسط جديد.

الثابت، ريثما تتضح الإجابات، أنّ كوندوليزا رايس تستعير من شمعون بيريس، في كتابه «الشرق الأوسط الجديد»، 1993، الحلم باتحاد شرق ـ أوسطي على غرار الإتحاد الأوروبي، ولكنها مثله لا تكترث بالحقائق الدامية على الأرض قدر اكتراثها بالكيمياء التي تقلب الكابوس الأسود إلى حلم وردي. وإذا كان قد أبدى استعداده للتضحية بأغلى الصور على قلوب الإسرائيليين الأوائل (صورة المقاتل الذي يحتضن رشاش الـ«عوزي» وسط حقل الشعير أو بيارة البرتقال)، فإنّ رايس تريد عكس الصورة تماماً: الغارات الإسرائيلية الهمجية على بيروت وصيدا وصور والنبطية.

وفي الاقتصاد السياسي لا يبدو الفقر مشكلة بحدّ ذاته في الشرق الأوسط الجديد كما يحلم به بيريس، بل السبب في سلسلة مشكلات على رأسها تنامي الصحوة الإسلامية وتحولّها إلى عقيدة كفاحية يومية، شارعية وقاعدية ولصيقة بالهمّ المعاشي للعربي العادي. وله، في الردّ على هذا الطراز من الفقر، خيارات شاعرية حالمة: «أنختار سبيل ألسنة النار والدخان وأنهار الدم، أم الصحارى المورقة واخضرار الأرض؟ الخراب والنماء، أم التقدم والحرية؟ كلما ارتفع مستوى المعيشة، انخفضت مستويات العنف، وأفضل وسيلة لمجابهة المزاوجة بين خطر الأسلحة الحديثة وخطر الفقر هي فضّ الاشتباك بين هذا المزيج القاتل، وشنّ الحرب على الفقر وكأنه تهديد عسكري محدق».

ولأنّ بيريس يعتبر الاستيطان في الجولان أمراً أقلّ مغزى (أي أعلى شرعية) من الاستيطان في الضفة الغربية (يهودا والسامرة، في عبارته)، فإنّ نسخته الخاصة من الشرق الأوسط الجديد لا تمتّ بصلة إلى الحقّ السوري في الجولان المحتلّ، وليس لهذا أية عاقبة على فلسفة تسعى إلى سحب نصف قرن من عمر دولة غاصبة (إسرائيل) على عدد من القرون (هي عمر الشرق الأوسط، القديم والحديث) يُراد لها أن تكون الزمن الوحيد لهذه الواحة الافتراضية التي تمتد من البحر الأحمر إلى البحر الميت. لها كذلك، هذه الدولة الغاصبة ذاتها، أن تخفي خيوط الحرير طيّ كتل الفولاذ القاذفة للهب، وأن تطمس أكبر قدر متاح من الدماء والجثث والقرى والأوطان والتواريخ.

وقبل سنوات من حيازته لقب «رؤيوي السلام»، كان شمعون بيريس قد تنبأ بأن الشرق الأوسط سيكون أمام احتمالين: سيناريو على الطريقة الشكسبيرية حيث يفنى الجميع في النهاية، وسيناريو على الطريقة التشيخوفية حيث يظلّ الجميع على قيد الحياة، ولكنهم أقرب إلى الأموات منهم إلى الأحياء. فإذا جاز أن وزيرة الخارجية الأمريكية استهدت به في اختلاق شرق أوسط جديد، فأيّ سيناريو تعيش المنطقة هذه الأيام؟ لا هذا ولا ذاك، لأنّ بيريس ليس في قلب الحكومة التي تشنّ الحرب البربرية على لبنان فحسب، بل هو كما كان على الدوام: مهندس الخراب وقيثارة الجنرالات وشاعر حروب اسرائيل، ونبيّ التكنولوجيا النووية.

الجديد أنه لم يكن أقلّ شأناً من ناتان شارانسكي في تطوير عقول نساء، بعد رجال، البيت الأبيض!

* كاتب وباحث سوري يقيم في باريس

# لماذا تركت الحكومات العربية لبنان وحيدا؟

د. يوسف نور عوض *

■ عندما وقفت الولايات المتحدة مساندة التحقيق في مقتل رئيس الوزراء اللبناني الراحل رفيق الحريري خدع الكثيرون بأن موقفها كان لصالح الشعب اللبناني خاصة عندما ربطت هذه القضية بخروج القوات السورية من لبنان، وقد وجد هذا الموقف تأييدا من كثير من الفصائل اللبنانية التي رأت في موقف الولايات المتحدة مساندة لها في تحقيق أهدافها السياسية. وواصلت الولايات المتحدة الضغط على سورية وعلى إيران من جهة أخرى والهدف في النهاية واحد هو خدمة المصالح الإسرائيلية وليس الأمريكية كما يظن الكثيرون لأن الولايات المتحدة نفسها اصبحت تحت حكم اليمين المتطرف رهينة للنفوذ الإسرائيلي. ولم يكد العام ينصرم حتى تكشفت سائر النوايا الخبيثة التي أضمرتها الولايات المتحدة ومن خلفها اسرائيل وذلك في عملية التدمير الشامل التي تنفذها اسرائيل ضد لبنان، وهي عملية لا يمكن أن توصف إلا بأنها إجرامية، ذلك أن دعاوى اسرائيل بأنها تحاول القضاء على حزب الله وتطبيق القرار 1559 لا يسندها منطق بكون حزب الله كتنظيم مقاومة ليس موجودا أمام اسرائيل بحيث يمكنها محاربته كما أن التكتيكات التي يستخدمها الحزب لا تبرر حربا نظامية ضده. ولكن اسرائيل استمرت في قصف البيوت والبنى الأساسية بينما صرح بعض زعمائها بانهم ينوون إرجاع البلاد عشرين عاما إلى الوراء وهذا هدف تفلح فيه اسرائيل التي لا تحارب حزب الله وجها لوجه وإنما تقاتله من فوق السحاب بواسطة الطائرات الأمريكية.

ودعنا الآن ننظر في المواقف العربية من هذه الحرب، ونركز اولا على المواقف العربية، ونبدأ بالموقف الشعبي الذي وصل درجة من الاستكانة لا تتحملها أي أمة من الأمم فلم يتحرك الشارع العربي إلا في مظاهر محدودة وهي مظاهر كانت تقمع بواسطة أعداد كبيرة من الشرطة التي لا يعرف أحد لماذا تتعامل مع أفراد الجمهور بمثل هذا المستوى من الوحشية على الرغم من أن رجال الشرطة يأتون في أدنى مستويات الهرم الوظيفي ولا يعرف أحد لماذا هم يدافعون عن هذه الأنظمة المستكينة. فإذا أتينا إلى الموقف العربي الرسمي فإن الذي يهمنا في الواقع هو موقف السعودية ومصر وسورية والأردن وإلى حد ما ليبيا.

أما السعودية فقد حددت موقفها بوضوح عندما وجهت انتقادات لحزب الله واتهمته بأنه أدخل لبنان في هذه الورطة غير المحسوبة، وقد وجد موقف السعودية نقدا من جهات عدة وهو ما دفع الحكومة السعودية إلى أن تحاول تليين موقفها وتعلن أنها ستسهم بجزء كبير من فاتورة إعادة الإعمار وهي فاتورة لا يبدو أن هناك عجلة لسدادها دون أن يحل الموقف في الشرق الأوسط بصورة كاملة هذه المرة، ولكن الولايات المتحدة كانت تريد من السعودية مواصلة جهودها المعارضة لحزب الله من منطلق أن السعودية لها حظها من التجمعات الشيعية في شرق البلاد التي لا شك أنها تتعاطف مع موقف حزب الله، وبالتالي فقد تسارعت الاجتماعات بين المسؤولين السعوديين والمسؤولين الأمريكيين وكان أهمها اللقاء الذي تم بين وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل والرئيس الأمريكي جورج بوش وهو الاجتماع الذي سبقته تسريبات أمريكية بأن الولايات المتحدة كانت تريد من الحكومة السعودية أن تبذل جهودها في إبعاد سورية عن إيران ودعوتها إلى تصفية حزب الله والهدف في النهاية واضح وهو إضعاف سورية بحيث تكون في النهاية لقمة سائغة لتنفيذ الأهداف الأمريكية.

وأما الموقف المصري فقد كان مخجلا بكل المقاييس وهو موقف لا يمكن تبريره، فلم تعلن مصر كلمة تضامن واحدة مع الشعب اللبناني وكل ما فعلته هو توجيه النقد لحزب الله لماذا؟ لأنه خرج عن طوع الحكومة اللبنانية ولم يستسلم للإرادة الإسرائيلية ولا شك أن غياب الدور المصري أحدث غضبا عارما في الشارع العربي الذي يريد لمصر أن تكون في الريادة وألا تستسلم في المواقف التي لا يكون فيها ضرر إذا ما حددت موقفها بوضوح، ذلك أن موقف مصر يساعد على حل كثير من المشكلات لأنه لو عارضت مصر الاعتداء علنا وطلبت من اسرائيل وقفه بحزم لفكرت اسرائيل في ذلك مليا وربما كان في ذلك حل للمشكلة. ولكن مصر لم تفعل ذلك وساعدت على إفشال مؤتمر وزراء الخارجية العرب في الجامعة العربية بإحالة الملف إلى مجلس الامن وهو المجلس الذي وجه له عمرو موسى في نهاية الأمر نقدا بأنه لم يتحرك من أجل اتخاذ قرار عاجل فهل كان عمرو موسى يطمح في أن يتخذ مجلس الأمن قرارا يدين اسرائيل بينما الولايات المتحدة التي تمتلك حق الفيتو تقف مساندة الحرب لصالح اسرائيل؟

ولا شك أن تقييم الموقف السوري يأخذ اشكالا عدة، فهناك من يرى أن سورية أخرجت نفسها من القضية وهي تريد وسيلة تكسب بها رضى الولايات المتحدة بينما هناك من يرى أن سورية تلعب دورها بحذق وأنها هي التي أدخلت الولايات المتحدة في ورطة بتحالفها مع إيران ودعمها لحزب الله، ولا شك أن ذلك هو الخيار الوحيد الذي ظل مفتوحا أمام سورية في ظل الضغط المتواصل الذي تواجهه من الولايات المتحدة واسرائيل، وكما هو معروف فإن الولايات المتحدة تمارس نمطا واحدا من السياسة وهو النمط البراغماتي الذي يغير المواقف من أجل كسب المصالح ولكنها سرعان ما تغير مواقفها إذا ما تغيرت الظروف. وأما الأردن الذي يجب أن تكون يده في النار لكونه أقرب البلاد إلى فلسطين، ليس فقط بسبب وجود أعداد كبيرة من المواطنين الأردنيين ذوي الاصول الفلسطينية على أراضيه بل بكونه أمام خط النار شاء ذلك أم أبى، ولن تشفع له مواقفه المتراجعة عن إيجاد الحل النهائي للمسألة الفلسطينية ولكن الحكومة الأردنية التي تمارس سياسة متشددة ضد معارضيها لا تتنبه إلى الواقع الاستراتيجي وكل ما تركز عليه هو كسب رضى الولايات المتحدة من أجل استمرارية الحكم.

ولا يختلف موقف الأردن عن موقف ليبيا التي آثرت السلامة وخرج رئيسها من حلبة الصراع بتقديم التنازلات للولايات المتحدة وبنقد مواقف الدول العربية من القضايا المصيرية وتلك كلها رسائل موجهة للولايات المتحدة التي يبدو أن القذافي هو الحاكم الوحيد الذي صدقت تراجعه عن مواقفه المعلنة السابقة، ويجد موقف القذافي قبولا عند كثير من مواطنيه الذين يؤمنون بأنه زهد في الرئاسة وأن اللجان الشعبية هي التي فرضت عليه أن يكون في موقعه من القيادة دون ان يشير هؤلاء إلى كيفية اتخاذ القرار في ليبيا ومن الذي يتحكم فيه على نحو شامل؟

ويبدو من كل ذلك أن المواقف العربية في مجملها سواء كانت رسمية أم شعبية هي في الحقيقة في خارج السياق وهذا موقف معروف ومقروء بالنسبة للعالم الغربي واسرائيل وبالتالي فإن هذين البلدين يرسمان سياساتهما في المنطقة انطلاقا من هذا الواقع ولا يلتفتون إلى الخطب التي ترسلها التجمعات الشعبية لأنهم يعرفون أن الذي يتحكم في القرار العربي النهائي ليس هم هؤلاء الأبطال الذين ينذرون دولة اسرائيل بالويل والثبور.

ومن الجانب الآخر فإننا نرى موقفا دوليا متضامنا لا أقول في هذه المرة في معارضة المواقف العربية بل في معاداته لكل ما يمثله العرب والإسلام وقد أتيحت لي فرصة مشاهدة اللقاء الذي أجرته البي بي سي مع رئيس وزراء إسبانيا السابق خوسيه ماريا أثنار الذي قال إن الإعتداءات الإسرائيلية على لبنان مبررة وهي تندرج تحت الحرب العالمية ضد الإرهاب، وذهب إلى تأييد انضمام اسرائيل إلى حلف النيتو وعندما سئل إن كان النيتو سيحارب معها في لبنان وضد الفلسطينيين قال نعم، ولا يستطيع أثنار أن يقول إنه لا يفهم حقيقة القضية الفلسطينية ولكنه يعلم أن موقفه لن يحرك المياه الراكدة في العالم العربي وأن العرب لن يتحركوا لنقده وهذا هو موقف مجلس الأمن الذي يصر على عدم اتخاذ أي قرار في القضية الخطيرة التي يدمر فيها لبنان بل ويخرج ممثلو الاتحاد الأوروبي ووزيرة الخارجية الامريكية إلى الشرق الأوسط يطالبون بنزع سلاح حزب الله واحتلال لبنان بواسطة قوات دولية تقول أوروبا والولايات المتحدة إنها لا تريد المشاركة فيها، وهو قول سيتكشف أنه ضرب من الزيف لأن أوروبا والولايات المتحدة اجازتا بشكل كامل لإسرائيل الاعتداء على لبنان وسيفعلان كل شيء من اجل إضاعة الحقوق العربية وتمكين اسرائيل من أهدافها، ولم يعد بعض الحكام الغربيين مثل رئيس الوزراء البريطاني توني بلير يهتمون بتدني شعبيتهم في مقابل تحقيق الأهداف الإسرائيلية، وربما كان في تصريحات الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد بعض المبالغة عندما قال إن اسرائيل فتحت أمام نفسها باب دمارها ولكن رأيه فيه كثير من الموضوعية لأن الشيء الوحيد الذي لا تريد اسرائيل أن تفهمه هو التعايش السلمي مع جيرانها وقد أتيحت لها فرص كثيرة لم تغتنمها بدعوى أنه لا يوجد شريك تتعامل معه ولكن اسرائيل تخطىء كثيرا إذا ظنت أن هذا واقع لا يتغير بكون الواقع الجغرافي والديموغرافي في الشرق الأوسط لا يسير في صالح اسرائيل التي سيأتي يوم تدرك فيه أن الاعتماد على القوة المؤقتة للولايات المتحدة لن ينفعها في شيء وقد أنذرها حزب الله بتغيير استراتيجية الحرب في الشرق الأوسط بشكل كامل.

ومؤدى قولنا هو أن الغرب سيمضي في تنفيذ مخططه في مساندة اسرائيل بينما الحكومات العربية ستستمر في التراجع لأن نخب الحكم وعصاباته لا تقيم اعتبارا للمصالح الوطنية وهي تعتقد أنها ستحقق بالانبطاح مكاسب لا تحققها بالتحدي ولن يتغير هذا الواقع إلا إذا قررت الشعوب العربية أن الامر وصل إلى نهايته ولكن هذه المرحلة لم تحن تباشيرها بعد بسبب التخلف الفكري والسياسي السائد في العالم العربي..

* كاتب من السودان

# القيامة تقوم على المنافقين العرب

د. عبدالوهاب الافندي

(1)

بينما كنت أضع اللمسات الأخيرة على مقالي السابق هذا الأسبوع، طرق الباب فأجبت لأجد سيدتين مسنتين سلمتاني منشوراً يدعو إلى اجتماع ضخم لجماعة «شهود يهوه» يعقد الشهر القادم في لندن للتبشير بأن «النجاة قريبة»، وهي في عرف الجماعة تعني قرب قيام الساعة بعد معركة «مجيدو» (أرماجيدون) المتنبأ بها في نواحي فلسطين التي سيهلك فيها كل الفاسقين ولا ينجو إلا صالحي المؤمنين. ويبدو أن الجماعة في غاية التفاؤل بأعداد الحضور، لأنها استأجرت أستاداً لكرة القدم لثلاثة أيام، هذا مع العلم بأن الرواية التي يستند إليها الأرماجيدونيون في العهد الجديد تقول بأن مئة وأربعة وأربعين ألفاً فقط من البشر، جلهم من العبرانيين، سيكونون من الناجين.

(2)

جماعة «شهود يهوه» جماعة بروتستانتية منشقة تختلف عن بقية الطوائف المسيحية بأنها لا تؤمن بالجنة والنار ولا البعث إلا لقلة محدودة، وتؤمن بحرفية التوارة والإنجيل. وبحسب الجماعة فإن الجنة تعني الحياة الأبدية على هذه الأرض للناجين من معركة «مجيدو»، إضافة إلى بعث عدد محدود من الموتى ينضمون إلى الناجين مع السيد المسيح بعد هزيمة المسيح الدجال ورهطه. وتنشط الجماعة التي يقع مقر رئاستها في نيويورك في الدعوة لمذهبها بالطواف على المنازل، هذا على الرغم من أن عضويتها تزيد الآن على ستة ملايين، وهو أضعاف أضعاف من ستكتب لهم النجاة بحسب الرواية التي يستندون إليها.

(3)

ليس «شهود يهوه» هم وحدهم الذي يؤمنون بقرب قيام الساعة، وأن السبيل إليها هو حرب مدمرة في نواحي فلسطين. فالإنجيليون من المسيحيين المتشددين في الولايات المتحدة ما طفقوا يبشرون بهذه الكارثة التي يرون أن إسرائيل ستكون رأس الرمح فيها. وقد كان الرئيس السابق رونالد ريغان يصرح بإيمانه بأننا «نعيش الأيام الأخيرة». وقد تخوف البعض من أن يرتكب حماقة شن حرب نووية على «إمبراطورية الشر» السوفييتية ليعجل بعودة المسيح. وقد عبر الكاتب الأمريكي اليساري غور فيدال عن قلقه بعد أن اكتشف أن الرئيس كان يؤمن حقاً بما يقول، ولم يكن منافقاً «كما اعتقدنا وتمنينا».

(4)

رئيس آخر انضم إلى طائفة المؤمنين بقرب قيام الساعة، وهو الرئيس الإيراني أحمدي نجاد الذي يقول العارفون إنه يصرح بأن المهدي المنتظر سيظهر خلال عامين. وهناك استعداد عند هذا الرئيس مثل غريمه بوش لعمل كل ما يلزم للتعجيل بهذا القدوم عبر صدام بين قوى الخير والشر تقول المصادر الإسلامية والمسيحية التقليدية أنه سيسبق اللحظة الحاسمة. وهذا مصدر قلق إضافي بالنسبة للخطائين من أمثالنا ممن لا يستعجلون الساعة ولا يعتقدون أنهم أعدوا عدة النجاة.

(5)

الشيخ حسن الترابي صب في مداخلاته الأخيرة ماءً بارداً على تطلعات طالبي النجاة عبر هذا السبيل حين شكك في عقيدة المهدوية والروايات الإسلامية عن المسيح الدجال، واعتبرها عقائد منحولة تعبر عن أوهام عصر الانحطاط الإسلامي والتأثر بالديانات الأخرى، إضافة إلى أنها تثبط المؤمنين عن العمل الإيجابي نحو الإصلاح. ومهما يكن فإن القيامة قد قامت على البعض فعلاً بعد عدوان إسرائيل الوحشي الحالي على لبنان، وانكشاف مواقف الكثيرين الذي أصبحوا يتمنون علناً نصراً إسرائيلياً يبدو أنه لن يأتي، مما يعني أننا مقبلون على سقوط أنظمة كثيرة سقطت حكماً بانحيازها العلني الى إسرائيل وأصبح أركانها يدعون الله أن تنتصر إسرائيل حتى لا يواجهوا مصيرهم المحتوم.

(6)

الجماهير العربية كانت منذ مدة تؤمن بأن العصابات التي ابتليت باستبدادها عليها منذ حقب لا تنتمي إليها وتنتمي فعلاً إلى معسكر العدو. ولكن حتى أكثر الناس عداوة لهذه الأنظمة لم يكن يعتقد بأنها بلغت من الغربة عن الأمة هذا المبلغ، بحيث لم تعد ترى بأساً بأن يمطر العدو النيران على المدنيين في العراق وفلسطين ولبنان، بل يصرحون علناً بتأييد صب هذه الحمم على الأبرياء، ويتطوعون هم إضافة إلى ذلك بفعل الشيء نفسه ضد الجماهير التي تكتفي بالاحتجاج السلمي على هذه الجرائم.

(7)

بعد معركة بنت جبيل الأخيرة هذا الأسبوع، فإنه يمكن للشيخ حسن نصرالله أن يتقاعد دون أن ينال ذلك من مكانته كبطل تاريخي هزم إسرائيل مرتين وحطم نهائياً أسطورة الجيش الإسرائيلي الظافر. لا شيء يمكن أن تفعله إسرائيل سيغير من واقع الهزيمة المرة. إسرائيل لم تواجه في حقيقة الأمر حرباً من قبل، وإنما كانت تتنزه في دول عربية منزوعة السلاح والإرادة. وقد اعتمدت على القصف عن بعد عبر الطيران والمدفعية بعيدة المدى بحيث لا تحدث أي مواجهة. إسرائيل ذاقت المواجهة لأول مرة، وتذكرت لماذا فر جيشها منهزماً في جنح الليل في عام 2000.

(8)

يجب ألا نقلق كثيراً على مصير الحكام العرب لأنهم مردوا على النفاق وتدربوا على التقرب من المنتصر. وكما برعوا في تقبيل مؤخرة الرئيس بوش كما يقول التعبير الإنكليزي، فإنهم سيحسنون تقبيل يد الشيخ حسن نصرالله عندما يتغير اتجاه الريح. بعضهم قد بدأ فعلاً في إصلاح موقفه عبر الدخول من بوابة المساعدات الإنسانية والمطالبة (المتأخرة والخجولة) بوقف إطلاق النار. الذي يستحق القلق هو الشعوب التي تسمح لمثل هؤلاء بالسيادة الأبدية عليها، فهذه شعوب قامت قيامتها فعلاً.

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها